المبحث السابع

الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية

أولًا: الحساب في الإسلام:

الحساب لغة: العد. واصطلاحًا: توقيف الله الناس على أعمالهم، خيرًا كانت أو شرًّا، قولًا كانت أو فعلًا، تفصيلًا بعد أخذهم كتبهم، ويكون للمؤمن والكافر إنسا وجنا، إلا من استثنى منهم(١).

والحساب ثابت بالكتاب والسنة والإجماع (٢) عند أهل السنة.

والمعتزلة تثبت الحساب، وتستدل عليه بقول صاحب الأصول الخمسة: «الحساب مما لا يجوز إنكاره فقد قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق :٧-٩] نجد أن محاسبة الله تعالى إيَّانا لا تجري على حد ما تجري المحاسبة بين الشريكين والمتعاملين»(٣).

القرآن الكريم يعرض الحساب ويركز على عدة حقائق منها:

أولاً: أن الله هو الذي يتولى الحساب. يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ﴾ [البقرة :٢٨٤] ويقول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾ [النساء :٨٦] ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية :٢٥-٢٦].

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٢١٦ .

(٢) نفسه.

(٣) الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص ٧٣٦ .

وهذه الآيات إخبار من الله سبحانه وتعالى بأنه سيحاسب الخلق على أعمالهم ويجازيهم بها، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، وهذا الحساب سوف يكون سريعًا: يقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد :٤١]ويقول الله تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [ابراهيم :٥١].

والله عز وجل يحاسب الخلائق كلهم كما يحاسب نفسًا واحدة، كما قال جل وعلا ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ﴾ [لقمان :٢٨] وقوله جل جلاله ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ [القمر :٥٠][(١)]، ولا غرابة في سرعة حساب الله للناس يوم القيامة، فكما يرزقهم في وقت واحد يحاسبهم أيضًا في وقت واحد.

ثانيًا: نفي قيام الرسول بمحاسبة الخلق يوم القيامة:

القرآن الكريم بعد أن يثبت أن الله هو الذي يتولى الحساب يوم القيامة يثبت أن الرسول ﷺ لا يحاسب أحدًا من الخلق يوم القيامة. يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام :٥٢].

وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ﴾ [الأنعام :٥٢] كقوله تعالى: ﴿إِنۡ حِسَابُهُمۡ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّيۖ لَوۡ تَشۡعُرُونَ﴾ [الشعراء :١١٣] وذلك أنهم طعنوا في دينهم وإخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء، بعد شهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله في أعمالهم، على معنى وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فلا يلزمك إلا اعتبار الظاهر والاتسام بسيمة المتقين، وإن كان لهم باطن غير مرضٍ فحسابهم عليهم، لازم لهم، لا يتعداهم إليك، كما أن حسابك عليهم، لا يتعداك إليهم، كقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١٥][(٢)].

---

(١) انظر ابن كثير جـ ٤ ص ٧٥ .

(٢) انظر الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ٢٢ .

ويقول الله تعالى ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد :٤٠] ومعنى الآية أن الله أرسل رسوله، ليبلغ للناس رسالة الله، وقد فعل ما أمره، أما الحساب والجزاء فعلى الله، إذ إنه المحاسب والمجازي، لا أحد سواه [١].

ثالثًا: كيفية الحساب:

يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق :٧-١٢].

وهذه الآية سألت عنها أمُّ المؤمنين عائشةُ رسولَ الله ﷺ فقد روى البخاري ومسلم - واللفظ لمسلم - عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«من نُوقِشَ الحسابَ يوم القيامة عُذِّبَ»** فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق :٨] ؟ فقال: **«ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، ومن نوقش الحساب يوم القيامة عذب»**.

وروى الترمذي عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من نوقش الحساب هلك»** قالت: قلت: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق :٧-٨] قال: **«ذاك العرض»** [٢].

والسيدة عائشة - كما وضح في حديث مسلم والترمذي - قد ظنت أن هناك تعارضًا بين قول الرسول وبين الآية، ولكن لا تعارض، حيث إن الحساب في الآية معناه العرض، أي عرض أعمال المؤمن عليه يوم القيامة، ثم عفو الله عنه وإدخاله الجنة.

أما مناقشة الحساب التي ذكرها رسول الله ﷺ وبيَّن أن العذاب مرتبط بها فللعلماء وجوه فيها:

---

(١) ابن كثير جـ ٢ ص ٥٢٠ .

(٢) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١١٢ .

الوجه الأول:

أن نفس مناقشة الحساب، وعرض الذنوب، والتوقيف على قبيح ما سلف والتوبيخ – تعذيب.

الوجه الثاني:

أن الإنسان يفضى إلى العذاب، إذ لا حسنة للعبد إلا من عند الله؛ لإقداره عليها، وتفضله عليه بها وهدايته لفعلها، ولأن الخالص لوجه الله قليل [١]. وهذا الوجه الأخير مال إليه النووي في شرحه لهذا الحديث، إذ يقول «**إن التقصير غالب في العباد فمن استقصى عليه ولم يسامح هلك، ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء**» [٢].

أهم العناصر التي يدور حولها الحساب يوم القيامة للمؤمنين والكافرين:

أولاً: المؤمنون:

إن العناصر التي يدور حولها الحساب يوم القيامة هي الأقوال والأفعال. أما حديث النفس، والهم على السيئات، فإن الله لا يؤاخذ الإنسان عليها، وإن كان يثيب على الهم بالحسنة، ويجازي عليها. يقول الله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤].

وهذه الآية حين نزلت شق ذلك على الصحابة، إذ إنها تفيد أن الله يوم القيامة يحاسب الإنسان على ما أبداه وفعله وما أخفاه ولم يفعله. روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: لما أنزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا

---

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٣٨، ٣٣٩ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٧، ١٨ ص ٢٠٨، ٢٠٩ .

فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة :٢٨٤] قال: اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ، ثم بركوا على الرُّكَب فقالوا: أيْ رسول الله، كُلفْنَا من العمل ما نطيق الصلاة، والصيام، والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية، ولا نطيقها. قال رسول الله ﷺ: **«أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم، سمعنا وعصينا؟ بل قولوا:** ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة :٢٨٥] » فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى. فأنزل الله عز وجل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ [البقرة :٢٨٦] قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ [البقرة :٢٨٦] قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ﴾ [البقرة :٢٨٦] قال: نعم ﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة :٢٨٦] قال: نعم [(١)].

ومعنى هذا أن الحديث يفيد أن الله عز وجل قد نسخ الآية الأولى - التي تفيد محاسبة الإنسان على ما فعله وما همَّ به - بالآية الثانية ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ ومن العلماء من ذهب إلى أن الآية ليست منسوخة، وإنما هي محكمة، واختار ابن جرير ذلك، واحتج على أنه لا يلزم من المحاسبة المُعاقبة، وأنه تعالى قد يحاسب، ويعاقب، وقد يحاسب ويغفر، بحديث النجوى، وعلى هذا تكون الآية الأولى عامة، والآية التي بعدها خاصة وسواء أكانت الآية الأولى منسوخة بالآية الثانية أم الآية الأولى عامة، والثانية خاصة، فإن الله عز وجل لا يحاسب الإنسان على ما هم به ولم يفعله، ويكون الحساب على ما كسب الإنسان.

وقد وردت الأحاديث التي تفيد ذلك، فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم يتكلموا أو يعملوا»**.

(١) رواه الإمام مسلم جـ ١ ص ٦٥ .

وروى البخاري ومسلم – واللفظ له – عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ، فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بَيَّنَ ذلك، فمن همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة**».

وهذه الأحاديث تبين تخفيف الله على عباده ورحمته بهم يوم القيامة، وأنه لا يحاسبهم إلا على ما اقترفوه من السيئات، أما الهم بالأعمال السيئة وعدم اقترافها فإن الله عز وجل يكتبها لهم بحسنة، وإنما كتبت الحسنة بمجرد الإرادة؛ لأن إرادة الخير سبب إلى العمل، وإرادة الخير خير. ولا يجوز أن يقال: ما دامت إرادة الخير خيرًا فلماذا لا تضاعف الحسنة التي يأخذها الإنسان على إرادة الخير، مع أن الله تعالى يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] ويحاسبُ على ذلك؟ فإن الآية تعني عمل الجوارح؛ فالحسنة التي يأتيها الإنسان بجوارحه هي التي تضاعف، وأما الحسنة التي لا تضاعف والتي أخبر عنها الحديث فهي مأخوذة على النية للفعل الحسن، أو الترك للفعل السيء، واستشكل بأن عمل القلب إذا اعتبر في حصول الحسنة فكيف لم يعتبر في حصول السيئة؟ وأجيب بأن يترك عمل السيئة التي وقع الهم بها يكفرها لأنه قد نسخ قصده السيئة وخالف هواه.

وقد ورد في حديث النجوى أن الله عز وجل يعرض على المؤمن سيئاته، ويذكره بها، ثم يعفو عنها.

روى البخاري بسنده عن صفوان بن محرز المازني قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذا بيده؛ إذ عرض رجلٌ، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ في النجوى؟ فقال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي ربِّ. حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك. قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها**

لك اليوم. فيعطى كتاب حسناته. وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨] [١]». وهذا من فضل الله العظيم على هذه الأمة؛ لأنه لولا ذلك كاد لا يدخل أحدٌ الجنة؛ لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم للحسنات [٢].

ثانيًا: الكافرون:

يسأل الله عز وجل الكافر يوم القيامة محاسبًا إياه، فيتنصل الكافر من كفره ومن ذنوبه. يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢-٢٤] ويقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤].

وروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك أن النبيَّ ﷺ كان يقول: «**سيجاء بالكافرِ يومَ القيامة، فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبًا، أكنتَ تفتدي به؟ فيقول نعم. فيقال له: قد سئلتَ ما هو أيسرُ من ذلك**» [٣] والذي طلبه الله من الكافر هو أن يوحده ولا يشرك به شيئًا يقول ابن حجر: «**فمراد الحديث: أردت منك حين أخذتُ الميثاق، فأبيتَ - إذ أخرجتك إلى الدنيا - إلا الشرك. ويحتمل أن يكون المراد بالإرادة هنا الطلب، والمعنى أمرتك فلم تفعل، لأنه سبحانه وتعالى لا يكون في ملكه إلا ما يريد**» [٤].

وروى الترمذي بسنده عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**سيجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَجٌ فيوقف بين يدَي الله تعالى فيقول الله: أعطيتك وخولتك وأنعمتُ عليك، فماذا**

(١) صحيح البخاري جـ ١ ص ٦٦.
(٢) انظر فتح الباري جـ ٨ ص ٢٧٢، ٢٧٦.
(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٣٩، ٣٤٠.
(٤) نفسه ص ٣٤٠.

صنعت؟ فيقولُ جمعتُه وثمرته وتركته أكثرَ ما كان، فارجعني آتك به كله. فيقول له: أرني ما قدمتَ فيقولُ: رب، جمعتُه فتركتُه أكثرَ ما كان، فارجعني آتك به كله. فإذا عبد لم يقدم خيرًا، فيُمضي به إلى النار» [١]. والبذج بفتح الباء هو ولد الضأن، وتشبيه ابن آدم بهذا كناية عن صغره وذلته وحقارته بين يدي رب العزة، وقول ابن آدم: «فارجعني آتك به كله» موافق لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون :٩٩-١٠٠] وبعد أن يسأله الله عز وجل يجده عبدًا لم يقدم خيرًا فيمضى به إلى النار [٢].

وروى الترمذي بسنده عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالعبد يومَ القيامة، فيقول له: ألم أجعل لك سمعًا وبصرًا ومالاً وولدًا، وسخرت لك الأنعام والحرث، وتركتُك ترأسُ وتربَعُ، فكنتَ تظن أنك ملاقٍ يومك هذا؟ فيقول: لا. فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني» [٣]. وهذا الحديث لقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف :٥١].

ومعنى «وتركتك ترأس وتربع» أي ترأس قومَك وتكون رئيسًا عليهم، وتربَعُ أي تأخذ رُبَعَ الغنيمة، وكانت العادة أن الأمراء يأخذون من الغنائم الربع، ويسمونه المرباع، وكان ذلك في الجاهلية [٤].

من يدخلون الجنة بغير حساب:

لقد ذكر الله تعالى الحساب في القرآن الكريم على نحو ما ذكرنا، وجاءت الأحاديثُ بذلك، وجاء في كتبِ السنةِ أحاديثُ تفيدُ أن كثيرًا من المؤمنين يدخلون الجنة بغير حساب، وعلى هذا فالناس يوم والقيامة ثلاث فرق، فرقة

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١١٣ أ١١٤ .
(٢) تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي جـ ٧ ص ١١٤، ١١٥ .
(٣) نفسه جـ ٧ ص ١١٥ .
(٤) انظر تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١١٥، والتذكرة جـ ١ ص ٣٤٢، ٣٤٣ .

تحاسب حسابًا يسيرًا، وفرقة لا تحاسب أصلًا، وفرقة تحاسب حسابًا عسيرًا، منهم المؤمن والكافر [١] وقد تحدثنا عن حساب المؤمنين والكافرين، ونتحدث هنا عن الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

روى البخاري بسنده عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «**عُرِضَتْ عليَّ الأمم فأجِدُ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده. فنظرت فإذا سوادٌ كثير. قلت: يا جبريل هؤلاء أمتي! قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد كثير، قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولم؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يسترْقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**». فقام إليه عُكَاشة بن مِحْصَن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**اللهم اجعله منهم**». ثم قام رجل آخر، قال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**سبقك بها عُكَاشَة**» [٢].

وروى البخاري بسنده عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: «**ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا، أو سبعمائة ألف - شك في أحدهما - متماسكين، آخذ بعضهم ببعض، حتى يدخلَ أولهم وآخرهم الجنة، ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر**» [٣].

وروى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا زمرة واحدة منهم على صورة القمر**» [٤]. وهذه الأحاديث تدل على دخول طائفة من أمة محمد ﷺ الجنةَ بغير حساب، وتدل أيضًا على أن هناك وراء التقسيم المذكور في سورة الانشقاق أصنافًا أخرى من أمة محمد ﷺ تدخل الجنة بغير حساب، ولا يحاسبون أصلًا، والعدد المذكور في تلك الأحاديث مختلفٌ حولَه، هل هو على ظاهره، أو أريد به مجرد التكثير؟.

---

(١) انظر التذكرة للقرطبي جـ ١ ص ٣٤٣ .
(٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٢، ٣٧٤ .
(٣) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٨، ٣٤٩ .
(٤) رواه مسلم جـ ١ ص ١١١ .

فذهب بعض العلماء إلى أن المقصود العدد على ظاهره. وحجتهم في ذلك أن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، قد ورد بهم الخبر من أكثر من طريق وذهب آخرون إلى أن العدد في الأحاديث مراد به التكثير، لأن هناك أحاديث أخرى تدل على الزيادة على العدد المذكور، منها ما رواه الترمذي بسنده عن أبي أُمامة أن رسول الله ﷺ قال: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا لا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألفٍ سبعون ألفا، وثلاث حثيات من حثيات ربي**»(١).

يقول ابن حجر في التوفيق بين الرأيين: «**إن أول من يدخل الجنة هؤلاء السبعون الذين بالصفة المذكورة، ومعنى المعية في قوله في الروايات الماضية مع كل ألف سبعون ألفا أو مع كل واحد منهم سبعون ألفا يحتمل أن يدخلوا بدخولهم، تبعًا لهم، وإن لم يكن لهم مثل أعمالهم، ويحتمل أن يراد بالمعية مجرد دخولهم الجنة بغير حساب، وإن دخلوها في الزمرة الثانية أو ما بعدها، وهذا أولى**» (٢) ولا شك أن السبعينَ ألفا - إذا استثنينا الأنبياء - أفضل من غيرهم، من الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم، وحوسبوا حسابًا يسيرًا، ولعلهم من السابقين الأولين على الأقل(٣).

والأحاديث التي وردت في دخول طائفة من أمة محمد ﷺ الجنة بغير حساب تخص عموم الحديث الذي رواه الإمام مسلم عن أبي برزة «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن جسده فيما أبلاه، وعن عمله فيما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه**». فهذا الحديث عام وهو مخصوص بمن يدخل الجنة بغير حساب.

يقول ابن حجر: «**في سياق حديث أبي برزة إشارة إلى الخصوص، وذلك أنه ليس كل أحد عنده علم يسأل عنه، وكذا المال فهو مخصوص بمن له علم وبمن له مال؛ دون من لا**

---

(١) تحفة الأحوذي جـ ٧ ص ١٢٩، وانظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٦ .

(٢) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٨ .

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم جـ ٢ ص ٦٠١ - الدكتور موسى لاشين - الطبعة الثانية - دار التراث العربي.

مال له ومن لا علم له، وأما السؤال عن الجسد، والعمر فعام ويخص من المسئولين من ذكر - أي من يدخل الجنة بغير حساب، ومن يدخل النار بغير حساب - » [١].

ثانيًا: الحساب عند النصارى

يعتقد النصارى في الحساب والجزاء لكل البشر ويطلقون على موقف البشر للحساب والجزاء الدينونة. ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة دان - دين - دينونة ما نصه: «**تطلق هذه الكلمات على حكم الله على الناس بحسبِ أعمالهم**»[٢]. وقد أعطيت الدينونة للرب يسوع المسيح فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر لكي يعطوا حسابًا عن أعمالهم في الجسد خيرًا كانت أم شرًّا[٣] وهذه الدينونة عامة وشاملة [٤] وحكم هذه الدينونة نهائي ولا يقبل النقض ولا الاستئناف وبموجب هذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت المسيح وأفراحها. ويذهب الأشرار إلى الظلمة الخارجية واليأس الأبدي» [٥].

تولى المسيح الحساب:

يعتقد النصارى أن المسيح هو الذي يتولى الحساب والجزاء. ورد في علم اللاهوت النظامي «**أن المسيح هو الديان كما قال الآب. لا يدين أحدا بل قد أعطى كل الدينونة للابن** [٦]، **وقال بطرس: «المسيح هو المعيَّنُ من الله ديانًا للأحياء والأموات»**[٧]، وقال بولس: «**إن الله قد أقام يومًا هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل، برجل قد عينَه**

(١) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٩ بتصرف.

(٢) متى: ١: ١٥، متى: ٢٦/١٢، أعمال الرسل: ٣١/١٧، وعبرانيين ٢٧/٩، رسالة بطرس الثانية ٩/٢، ٣.

(٣) متى: ٢٥: ٣٢/٣١، ٦٤/٢٦، يوحنا: ٢٢/٥، أعمال الرسل ٣١/١٧، وجد: ١٦/٢، كورنثوس الثانية ١٠/٥.

(٤) يوحنا ٥: ٢٩/٢٨، رومية ٤: ٢٢/١٠، وكورنثوس الثانية ٥: ١٠، رومية ١٣/١٢/٢٠ .

(٥) قاموس الكتاب المقدس ص ٣٨٢.

(٦) يوحنا ٥٠/ ٢٢ / ٢٣ إلى ٢٧.

(٧) أعمال الرسل ٣٤/١٠ - ٤٤ .

مقدمًا للجميع إيمانًا، إذ أقامه من الأموات» [١] والنص يشير إلى أن الله قد عيَّن يومًا للحساب، قد عيَّن الله له رجلًا ليدين المسكونة أي الأرض كلها بالعدل. ونلاحظ أن علم اللاهوت يطلق على مهمة الديَّان بأنه رجل. وسنلاحظ أن هنا تناقضًا صريحًا في كون المسيح ديانًا. ورد في إنجيل يوحنا **«لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحيي، وكذلك الابن أيضًا يحيي من يشاء، لأن الآب لا يدينُ أحدًا، بل قد أعطي كل الدينونة للابن»** [٢] وردَ في نفس الإنجيل **«لأنه كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضًا أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطانًا أن يدين أيضًا لأنه ابن الإنسان** [٣]. **هذان النصان اللذان يثبتان أن المسيح هو الذي يتولى الحساب يتناقضان مع نص ثالث في إنجيل يوحنا «أما أنا فلست أدين أحدًا، وإن كنت أدين فدينونتي حق، لأني لست وحدي، بل أنا والآب الذي أرسلني»** [٤]. وكما نرى فإن النص الأول ينفي عن الآب الدينونة لأحد، ولكن المسيحَ وحده هو الذي يدين؛ لأن الآب أعطى كل الدينونة للابن والنص الثاني يقرر ما ذكره النص الأول.

أما النص الثالث فينفي في بدايته الدينونة عن المسيح، ثم بعد ذلك يثبتها له، ولكنه يدينُ مع الآب الذي أرسله. وهذا تناقض واضحٌ وصريحٌ بيْنَ نصين في إنجيل واحدٍ، ويحاول القديس تُوما اللاهوتي أن يحل التعارض بين نسبة الدينونة للمسيح ونفيها عنه تارة أخرى، فيقول **«إن وظيفة الدينونة وإن نسبت للثالوث الأقدس إلا أنها تنسب للابن بوجه أخص، وذلك لأن الدينونة لكي يكون قضاؤها عادلا لا بد لها من ثلاثة أمور: أولها السلطان، ثانيها الاستقامة، ثالثها الحكمة، وعن الحكمة على وجه الخصوص يصدر فعل الحكم، ولأن الابن هو حكمة الآب فمن ثم ينسب للابن سلطان الحكم نسبة خصوصية»** [٥] والنص يثبت أن المسيح لكونه استجمع خصالًا ليست

---

(١) علم اللاهوت النظامي ص ١٢٠٥ .
(٢) يوحنا ٥: ٢١/٢٣ . (٣) يوحنا ٢٥: ٢٧/٢٨ .
(٤) يوحنا ١٨: ١٥/١٦ .
(٥) نقلًا عن علم اللاهوت لميخائيل مينا ص ١٤٦ - ٤٧ .

عند غيره وخاصة الحكم فهو الذي يدين الناس يوم القيامة. ومعنى هذا النص أن المسيح عنده من الحكمة أكثر من الآب. ولذلك أخذ سلطان الحكم. وسيكون أكثر عطفا ورحمة من الله على الخلق يوم القيامة. هكذا يقول النصارى **«إن اتحاد الأقنوم الثاني تبارك اسمه بطبيعة الإنسان مع كونه ابن الله الأزلي يؤهله لأن يكون ديانا للبشر، كما أن اختبار ضعفاتهم مما يملأ قلوبهم ثقة واطمئنانًا بأن دينونتهم سوف تكون في أقصى حدود العطف والرحمة»** [١] وهذا يتناقض مع ما ورد في نص إنجيل يوحنا، والذي فيه أن المسيح يقول: **«لست أدين أحدًا»**، ويقول: **«إن كنت أدين مع أبي»**، ويتناقض مع ما ورد في رسالة بولس إلى رومية **«في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس»** [٢].

الحساب لكل البشر:

يعتقد النصارى أن الحساب لكل البشر ورد في علم اللاهوت النظامي **«أما الذين يقومون في الدين فهم كل أفراد الجنس البشري بلا استثناء، وليس كما زعم بعض المبتدعين في أوائل الديانة المسيحية أن الصالحين وحدهم هم الذين يقومون في يوم الدين لينالوا جزاء طوبانية أجسادهم»** ويفيد زعم من قال إن ذلك ما ورد من أن الحساب سيكون بصورة عامة وليست خاصة، بل تشمل الجميع شرارًا كانوا أم أخيارًا، هؤلاء للحياة الدائمة سعادتها، وأولئك للدينونة المؤدية تعاستها».

أما قول صاحب المزمور: **«إن الأشرار لا يقومون في الدين»** فمعناه أنهم لا يقومون قيامة الحياة، لكونهم لم يماثلوا الصديقين بالإحادة عن الشر واصطناع الخير الناتج من قبلهما هذه السعادة، فهم يقومون للمحاكمة والدينونة، لا للتبرئة والمكافأة».

* * *

(١) نفسه ص ١٤٦ .

(٢) رسالة بولس إلى رومية ٢-١٦ .

أقسام البشر عند الحساب:

يعتقد النصارى أن البشر طبقات يوم الحساب. يقول القديس غريقريوس الكبير: «**إن البشر في القيامة على أربعة أقسام - وتدعى هذه الأقسام: طبقات القائمين في ذلك اليوم من الأبرار والأشرار - فالطبقة الأولى: طبقة الذين يدينون ولا يدانون - والطبقة الثانية: طبقة الذين يدانون ويخلصون. والطبقة الثالثة: الذين يدانون ويهلكون. والطبقة الرابعة: طبقة الذين لا يدانون ويهلكون**» ويشرح ميخائيل مينا حقيقة كل طبقة، فالطبقة الأولى هم كبار القديسين كالرسل وهم الذين يختص بهم قول المسيح «**متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضًا على اثنى عشر كرسيًا وتدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر**». والطبقة الثانية يبين حقيقتهم ميخائيل مينا بقوله: «**هم الذين غسلوا ثيابهم التي تدنست بالخطايا بدم حمل الله الذي بلا عيب، ورخصوها بدموع التوبة الحارة، فأصلحوا فساد أعمالهم بأفعالهم الصحيحة ولا سيما أعمال الرحمة فظفروا برحمة الديّان**» «**وأصحاب الطبقة الثالثة هم المؤمنون الخطاة. الذين دنسوا قداسة إيمانهم برجاسة أفعالهم أولئك الذين يقرون بأنهم يعرفون الله، وهم بمقتضى أعمالهم به كافرون. وأصحاب الطبقة الرابعة فهم الذين لم يؤمنوا، كالوثنيين، فهؤلاء لا يحتاجون إلى دينونة وحساب، يظهر به حق هلاكهم، موسومٌ في جباههم، بسبب عدم الإيمان وقبولهم ناموس الرب**» (١).

ونلاحظ أن هناك شبه اتفاق بين هذه الطبقات يوم الحساب في التصور الإسلامي والتصور النصراني، إذا استثنينا الطبقة الأولى، الذين يعتقد النصارى أنهم يُحَاسِبُونَ ولا يُحَاسَبُون، لأن القرآن الكريم والسنة النبوية ينفيان عن أي أحدٍ القيام بمحاسبة الخلق يوم القيامة؛ لأن حساب الناس يوم القيامة يختص بالله وحده، الذي خلقهم ورزقهم وأماتهم وأحياهم، ثم يحاسبهم ويجازيهم. أما الطبقة الثانية عند النصارى وهم الذين يدانون ويخلصون فهم كمن يحاسب

(١) متى ص ١٤٩/ ١٥٠ .

حسابًا يسيرًا. والطبقة الثالثة، وهم الذين يحاسبون ويهلكون، فهم كمن يحاسب حسابًا عسيرًا، ويدخلون النار من المؤمنين والكفار. وأما الطبقة الرابعة، وهم الذين لا يدانون ويهلكون، وهم الكفار، فهم كالذين قال الله عنهم في القرآن الكريم ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمٰن :٤١].

وإن القول بأن المسيح هو الديَّان قال به «**البطارقة والمطارنة والأساقفة في بلد قسطنطينة، بمحضر من ملكهم، وكانوا ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلًا**» [١] وجاء في اتفاقهم أن المسيح «**وُلدَ من مريم البتول، وصُلِبَ أيام بيلاطس، ودُفنَ ثم قام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعدّ للمجيء تارة أخرى؛ للقضاء بين الأموات والأحياء**» [٢]. ومن عجيب الأمر أن القس إبراهيم لوقا يستدل على أن المسيحَ هو الديَّان يوم القيامة بما رواه الإمام البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد**» [٣].

يقول القس: روى البخاري قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا**» ويعلق القس على الحديث بقوله: فهذا الحديث ناطق بأن المسيح سيأتي ديَّانًا عادلًا، وهذا ما يعلنه الوحي الإلهي في الإنجيل المقدس. قال المسيح «**لأن الآب لا يدينُ، بل أعطى كل الدينونة للابن**» [٤] وفي ختام سفر الرؤيا «**وهما أنا آتي سريعًا وأجرتي معي، لأجازي كل واحدٍ كما يكونُ عمله**» [٥].

ويستنتج من حديث البخاري أن «**الإسلام كما يُرى في الحديث السابق قد تكلم عن**

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ٢ ص ٥٢ بهامش الفصل.
(٢) نفسه وانظر هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ١٦٨ .
(٣) رواه الإمام البخاري جـ ٤ ص ٢٧، ومسلم جـ ١ ص ١٣٥ .
(٤) يوحنا: ٥ - ٢٢ .
(٥) رؤيا يوحنا: ٢٢ / ١٢ .

المسيح كديانٍ عادل رهيب، فصادق بذلك على صحة المعتقد المسيحي فيه، ووافق قول الإنجيل الطاهر» [١] ويستنتج القس من حديث البخاري الدلالة على لاهوت المسيح، فيقول **«فالإسلام قد نسب للمسيح هذا الحق. فما هو إلا شهادة منه على صدق العقيدة المسيحية عن لاهوت المسيح»** [٢]. ومع وضوح بطلان هذا الاستنتاج وكون الحديث هادمًا لعقيدة النصارى أصلًا؛ فإننا سوف نناقش القس فيما ذهب إليه عند التعقيب على الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية مناقشة مفصَّلَة.

ثالثًا: الحساب عند اليهود

ورد في سفر الجامعة: **«افرح أيها الشاب في حداثتك، وليسرك قلبك في أيام شبابك واسلك في طريق قلبك وبمرأى عينيك، واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتي بك الله إلى الدينونة، فانزع الغم من قلبك، وابعد الشر عن لحمك، لأن الحداثة والشباب باطلان»** [٣]. وورد فيها: **«فلتسمع ختام الأمر كله، اتق الله، واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كله؛ لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي وإن كان خيرًا أو شرًّا»** [٤]. وعلماء اليهود يقررون أن الله هو الديَّان والمحاسب يوم القيامة. ورد في التلمود ما نصه **«إن كل معصية يرتكبها الإنسان في دنياه توجد شيطانًا يصعدُ أمام كرسي الديَّان ويهتف دائمًا: أنا خلقت من معصية فلان ابن فلان، ارتكبها في اليوم الفلاني»** [٥].

وكما سبق عند الحديث عن البعث عند اليهود، فهناك نص في سفر التثنية من التوراة العبرية يشير إلى أن الله هو المجازي، ولكنه مختلف حوله، هل الجزاء في الدنيا أم في الآخرة، ولقد رجحنا ما رأيناه هناك [٦].

ولكن التوراة السامرية فيها نص صريحٌ على أن الله هو الذي يتولى الحساب

---

(١) المسيحية في الإسلام – القس إبراهيم لوقا ص ١٤٧ – الطبعة الثانية دار النشر القبطية.
(٢) نفسه ص ١٤٧ .
(٣) سفر الجامعة ١١: ٩/١٠ .
(٤) سفر الجامعة ١٢: ١٣/١٤ .
(٥) التلمود أصله وتسلسله وآدابه.
(٦) انظر ص ١٤٢، وما بعدها من هذا البحث.

والجزاء وهذا النص هو: «**أليس هو مجموعًا عندي في خزائني إلى يوم الانتقام والمكافأة وقت تزل أقدامهم، إذ قريب يوم تعنتهم، وتسرع المستعدات إليهم، إذ يدين الله وعن عبده يصفح**» (١).

ويعلق اليهود على النص السابق بقولهم: إن قوله: «**إلى يوم الانتقام والمكافأة**» يدل بوضوح وصراحة على قيامة الناس من القبور للقاء الله، فيجزيهم على أعمالهم في الحياة الآخرة» (٢).

وأسجل العذر عن عدم عثوري على نصوص كافية عن تفصيلات الآخرة بوجه عام - ومن ضمنها الحساب - في المصادر اليهودية المتاحة.

تعقيب على الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية:

بعد استعراض النصوص الدالة على الحساب بين الإسلام والنصرانية واليهودية تبين أن:

أولاً: يقرر القرآن الكريم أن الله هو الذي يتولى الحساب والجزاء يوم القيامة وأن الله سريع الحساب، كما يرزق الخلق جميعًا في وقت واحد يحاسبهم في وقت واحد، وأن حساب الله للإنسان يتم على أساس ما هو مسطور في كتاب الإنسان من قول أو فعل أما ما يهم به الإنسان من السوء فإن الله لا يحاسبه عليه، بل يثيبه إذا لم يترجم هذا الهم السيء إلى فعل.

ثانيًا: ينفي القرآن الكريم عن الرسول ﷺ حسابه لأحد من الناس يوم القيامة، إذ لا سلطان على الخلق إلى الله.

ثالثًا: أن القرآن الكريم أشار إلى بعض أصناف الناس حين الحساب، فمن الناس من يحاسب حسابًا يسيرًا، ومنهم من يحاسب حسابًا عسيرًا، وبقية الأصناف تحدثت عنها السنة النبوية، فبينت أن هناك أناسًا يدخلون الجنة

(١) سفر التثنية من التوراة السامرية ٣٦/٣٤ .

(٢) التوراة السامرية ص ٣٩٢/٣٩٣ تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا.

بغير حساب، وأن أعمالهم في الدنيا هي التي جعلتهم يستحقون فضل الله، ويتميزون عن بقية الخلق بدخول الجنة بغير حساب.

رابعًا: أثناء عرضنا للحساب عند النصارى تبين لنا أن تصورهم للحساب يوم القيامة يتفق مع التصور الإسلامي في بعض النقاط، ويختلف في البعض الآخر، فيتفق التصور النصراني مع التصور الإسلامي في أن جميع البشر سيقفون أمام الله ساعة الحساب، ويتفقان أيضًا في الذين يُحاسَبُونَ ويَنْجُونَ، وفي الذين يُحَاسَبُونَ فَيَهْلَكُونَ، وفي الذين يدخلون النار بغير حساب.

ولكن التصور الإسلامي يختلف تمامًا مع التصور النصراني فيمن يحاسبون الخلق يوم القيامة، فبينما ينفي القرآن الكريم الحساب عن أي مخلوق مع الله يوم القيامة – يعتقد النصارى أن المسيح هو الذي يتولى الحساب لحكمته ولعطفه ورحمته. ولا يكتفون بذلك بل يجعلون تلاميذ المسيح الاثنى عشر يجلسون معه ليدينوا أسباط بني إسرائيل الاثنى عشر. وما ذهب إليه النصارى يتعارض مع نصوصهم، كما رأينا في نصوص إنجيل يوحنا التي تثبت الحساب تارة للمسيح وحده، وتارة تنفي على لسان المسيح كونه ديَّانًا، ومرة ثالثة تثبت أنه يدين مع الآب. ومرة رابعة تثبت أنه يدين مع التلاميذ، ومرة خامسة يثبت بولس أن الله هو الذي يدين فقط[1] وهذا الاضطراب مرجعه في نظري يرجع إلى أمرين: الأول: التحريف الذي لحق بالإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام. الثاني: اعتقاد النصارى في ألوهية المسيح وبنوته لله مع ما في ذلك من الاضطراب.

خامسًا: خطأ ما ذهب إليه القس إبراهيم لوقا، من استشهاده بالسنة على كون المسيح هو الذي سيحاسب الناس في الآخرة، والحديث الذي استدل به القس حجة على النصارى لا لهم، ونص الحديث الذي حرفه القس هو «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً فيكسر الصليب،**

(١) انظر ص ١٨٨ : ١٩٠ .

ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» [١].

والقس المذكور قد استدل بفقرة واحدة من الحديث، واستنبط منها أن المسيح هو الذي سيدين الناس يوم القيامة، مع أن ذلك الحكم الذي سيعطيه الله للمسيح سيكون في الدنيا لا الآخرة. ونحن نعتقد أن المسيح سينزل في آخر الزمان ليدين الخارجين عن الإسلام، ويحكم بشريعة محمد ﷺ، ويقضي على كل مظاهر الوثنية التي من بينها تقديس الصليب الذي يعظمه النصارى. والحديث صريحٌ في كسر ذلك الصليب الذي يقول عنه القس المذكور **«إن المسيحية منذ نشأتها كانت ولا تزال كقائد المئة لا ترى في الصليب ما يدعو إلى الخجل، بل على العكس كانت ترى فيه موضع الافتخار، ولذلك اتخذته شعارًا وعلامة لها»** [٢].

ولو أن القس المذكور عرض حديث البخاري وناقش ما فيه، لكان له عذر. أما أن يجد الحديث صريحًا في هدم أهم معتقدات النصارى، ثم يحرف الكلم عن مواضعه - ليستدل على أن الحديث فيه دلالة على اعتقاد النصارى في أنه هو الذي يحاسب الناس ويجازيهم في الآخرة -، فهذه مخالفة لأبسط قواعد البحث العلمي والأمانة العلمية.

سادسًا: إن الإشارات التي ذكرت في العهد القديم يستدل منها على أن الله هو الذي يتولى الحساب والجزاء، وهذا ما يتفق مع التصور الإسلامي، ولكن الإشارات التي وردت عن الحساب في العهد القديم عابرة، ولا تعطي صورة تفصيلية عن الحساب وطبقات الناس، كما في الإسلام أو في النصرانية.

* * *

(١) صحيح البخاري جـ ٢ ص ٢٧، ومسلم جـ ١ ص ١٣٥ .
(٢) المسيحية في الإسلام ص ٢١٧ .